

وبجانب ما منح القرآن الكريم العربية من مرونة واسعة في ألفاظها لتصبح أداة طيِّعة فيما يعد للعلوم منحها أيضا صفات وخصائص جمالية ببلاغته المعجزة، مما يجعل كل مستمع لبعض آيه يشعر بمتاع هنيء لا يماثله ولا يدانيه متاع، وكأنما يَفْصَل هذا المتاع من حَبَّات القلوب في لغة رصينة عذبة ناصعة صافية ليس فيها لفظة غريبة ولا كلمة وعرة، وكأنما هي دُرٌّ وجواهر منظومة. ويتضح ذلك أقوى اتضاح حين نقرن سورة من سوره القصيرة إلى أشعار قبيلة هذيل التي كانت تنزل بجوار مكة، إذ نجد في تلك الأشعار ألفاظاً جافية مبعدة في الغرابة، حوشية متوعرة متعمقة في التوعر، بينما في السورة القصيرة نجد العذوبة والسلاسة والصفاء والشفافية، مما يلدُّ الألسنة حين نطقه والآذان حين الإنصات إليه، كما يلدُّ القلوب والأذهان. وقد ظلَّ القرآن يغذى العربية على توالي العصور برحيقه الصافي، وكلُّ عصر ينهل منه ما يجعل العربية فيه تُنوع وتونق من جيل إلى جيل بفضل ما حملها القرآن الكريم من خصائصه الجمالية. وتروع أبا الريحان البيروني أكبر علماء إيران في القرن الخامس الهجري بلاغتها التي سألت ينابيعها في اللغة العلمية فيصيح: - شاهداً شهادة حق - «إلى لسان العرب نُقلت العلوم في أقطار العالم، فازدانت وحلت إلى الأفئدة، وسرت محاسن اللغة منها في الشرايين والأوردة، والهَجْوُ بالعربية أحبُّ إليّ من المدح بالفارسية، ويعرف مصداق قولي من تأمل كتاب علم قد نقل من العربية إلى الفارسية فسيرى أنه قد ذهب رونقه وكَسَفَ باله، واسودَّ وجهه».

٢

وعلى هذا النحو أتاح القرآن الكريم للفصحى خصائص جمالية خلدت فيها بخلودها الذي ظل على توالي الأزمان يحميه. وبذلك ثبت في التراث الأدبي أوّل مقومٍ أساسى من مقومات وحدته، وهو الفصحى المعربة الناصعة المونقة الجميلة أو ذات الخصائص الجمالية البديعة. ويتفرع التراث الأدبي فرعين كبيرين. فرع الشعر وفرع النثر، وقد ظل فرع الشعر يحتفظ إلى اليوم بطائفة من مقوماته